خطبة صلاة الجمعة 4/4/2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أخطاء شائعة– ضعف أخلاقيات العمل)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:286].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:135].

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14]».

هذه هي الخطبة التاسعة في سلسلة: (أخطاء شائعة).

هدف السِّلسلة: السَّعي لتصحيح ما استطعنا من هذه الأخطاء، فإنَّ الله تعالى لا يُهلك قريةً أهلها متناصحون مصلحون: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

تتناول السِّلسلة خطأً في العلاقات الأسريَّة مرَّةً, وشعارها: (أسرتي سكني ومسؤوليتي).

وخطأً في معاملاتنا الماليَّة مرَّةً أخرى، وشعارها: (أسواقنا مرآة ديننا).

وخطبة اليوم من النَّوع الثاني، وعنوانها:

(ضعف أخلاقيات العمل)

– أوقفَت امرأة طاعنةٌ في السنِّ سيارة الأجرة لتطلب إلى السائق توصيلها إلى الحي الفلاني، أخبرها أن الأجرة ستكون ثلاثمائة ليرة، طلبت إليه أن يخفض الأجرة إلى مائتين وخمسين لقلة ما تملك من المال، فما كان منه إلا أن أمَرها بإغلاق باب السيارة ونهَرها وتحرَّك بسيارته مبتعداً عنها.!

– يبدأ دوام محلهم التجاري التاسعة صباحاً، ويكاد الأجير المكلَّف بفتح المحل يتأخر يومياً عن بدء الدوام متعللاً بالزحام وعقبات الطريق التي أخَّرته، وفي كثير من المرات لا يكون صادقاً في قوله!.

– كانت قطع الفريز الناضجة الحمراء الكبيرة مصفوفة بانتظام في الصندوق المغلف بالورق اللاصق الشفاف فاشترى منها صندوقاً، ولما وصل بيته وفتحه تفاجأ بأن المنظر المذكور للفريز لم يكن إلا في الطبقة العليا، بينما كانت أضدادها في الأسفل.!

– ألقى رجال الشُّرطة القبض على موظف مسؤول عن قمع السَّرقات في شركة كهرباء عامَّة في بلد عربي، وهو متَّهم بقيامه بعدد كبير من عمليات سرقة الكهرباء.!

– لما أنهى عامل الدهان طلاء الشقة وأخذ كامل الأجرة بقيَت قطعة من جدار كان طلاؤها متَّسخاً، وعد العاملُ صاحبَ البيت أنه سيرجع بعد أسبوع لإتمامها، وانتظره الرجل ثلاثة أشهر، وإلى الآن لم يتَح له وقت للعودة.!

– يستجِرُّ رجل حاجات بيته من البقالة الواقعة في حيِّه، ويدفع حسابه على رأس الشهر، وهكذا يفعل عدد من جوار الحي، لكن صاحب البقالة يشتكي من بقاء ذمم على بعض المشترين يزيد مجموعها على المائتي ألف ليرة، فالقوم بين مسافر لم يؤدِّ ما بقي عليه، وبين متهاون بالديون، وبين معسرٍ ضاقت به الأمور.!

– يؤجر رجل شقته بمائة ألف كل ثلاثة أشهر، بالأمس فاجأ المستأجر بأنه يريد مائتي ألف إن أرادوا الاستمرار في الاستئجار بعد انتهاء العقد الحالي.!

أيها الإخوة:

الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، وما لم يظهر أثر إيمان المؤمن في سلوكه، ونورُ عبادته في معاملاته، وجمالُ دينه في أخلاقه، فإن إيمانه يبقى ناقصاً، وفهمه للدين يظل جامداً.

ولعل السوق التجاري من أهم الأماكن التي ينبغي للمؤمن أن تظهر فيها أخلاقه وتنعكس فيها تعاليم دينه.

كيف لا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**التَّاجر الصَّدوق الأمين مع النَّبيين والصِّديقين والشُّهداء**» [الترمذي].

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...**»، وعدَّ منهم: «**ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**» [البخاري].

كتب أحد أساتذة كلية التجارة في بلد عربي: لقد نجَم عن طغيان المادة البحتة في العالم مشكلات نفسية وسلوكية للعاملين في السوق، يرجع بعضها إلى افتقادهم الأخلاق والقيَم والمُثُل، وظهَرَت العديد من المشكلات التي يصعب حلها في النظم والقوانين، مما أقنع العديد من المنظرين لرجال الأعمال بضرورة العودة مرة أخرى إلى القيم. ا.هـ

وخلص بحث اقتصادي غربي إلى أن الأخلاق الحسنة تؤدي إلى أعمال تجارية جيدة، وقد رفعوه شعاراً: (Good Ethics Good Busines) (أخلاق جيدة أعمال تجارية جيدة)

وتعلو صيحات طائفة من الاقتصاديين لتقول: (الأخلاق فوق الاقتصاد)، وتدرَّس في الجامعات اليوم مواد تهتمّ بالأخلاق لكلِّ مهنة واختصاص، كمقرر أخلاقيات الطِّب في كليات الطِّب وطب الأسنان، ومقرر آداب الصَّيدلة في كلية الصَّيدلة، ومقرر أخلاقيات المعلوماتية في كليات الهندسة المعلوماتية.

سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدْخِلُ النَّاس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله، وحسن الخُلق**» [الترمذي].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أكمَل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**» [الترمذي وأبو داود].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّكم لا تَسَعُون النَّاس بأموالكم، ولْيسَعهم منكم بسط الوجه وحُسن الخلق**» [الحاكم، والبزار، والبيهقي في شعب الإيمان].

ومن أجمل ما ورثنا عن آبائنا وأجدادنا أقوالهم في الأخلاق العالية، ومنها:

- ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن.
- من ساء خلقه ذلّ نفسه.

- خير النَّاس من فرح بالخير للنَّاس.
- إذا ذهب الحياء حلَّ البلاء.
- سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

أيها الإخوة:

عندما يصير الكذب في مواعيد الاستلام والتسليم عادة، والغش مهارة، وغبن الزبون ذكاء، وسحب البساط من تحت رجلَي الشريك شطارة..!

عندما تصير الأمانة مغنماً، والكلمة الحرة نادرة... إذا حدث كل ذلك فقد حلَّ البلاء فوق البلاء، وزاد الكرب فوق الكرب.

روي في الحديث: عن علي رضي الله عنه أنَّ رسول لله صلى الله عليه وسلم لما أُتي بسبايا طيئ وقفت جارية فقالت: يا محمَّد، إنْ رأيتَ أنْ تخلي عنِّي ولا تشمّت بي أحياء العرب، فإنِّي ابنة سيِّد قومي، وإنَّ أبي كان يحمي الذمار [الأهل]، ويفكّ العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضَّيف، ويطعم الطَّعام، ويفشي السَّلام، ولا يرُد طالبَ حاجة قطّ، أنا ابنة حاتم طيئ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلُّوا عنها فإنَّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحبُّ مكارم الأخلاق**»، فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، الله عزَّ وجلَّ يحبُّ مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله: «**والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنَّة أحد إلا بحُسن الخلق**» [البيهقي في شعب الإيمان].

أيها الإخوة:

إن ضعف أخلاقيات العمل خطأ وصوابه عكسه.

ختاماً: كيف نعزز الأخلاق في العمل:

1- اللحاق بمجالس العلم والعبادة.
2- صحبة ذوي الأخلاق العالية.
3- تنشئة الأبناء على الخلق الكريم والخصال الحميدة.
4- توظيف موجه أخلاقي في مؤسَّساتنا وشركاتنا؛ مهمته تعزيز الخلق عند العاملين وأصحاب العمل.

نسأل الله أن يعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا حتى يعجِّل لنا بالفرَج.

والحمد لله رب العالمين